اشكال .. اشكال

تواجه القصة العراقية ، ولاول مرة في تاريخها الادبي ، موضوع الشكل القصصي بجرأة نادرة . فبعد قصة الاديب المصري صنع الله ابراهيم « تلك الرائحة » التي حاول فيها ان يبني بناء قصصيا من خلال رصد الواقع ودراسة تفاصيله ضمن بنية الانسان الذي لا حدود لعلاقته بهذا الواقع ، حاول فاضل العزاوي في روايته « مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة » ان يقيم بناء روائيا دون الحاجة الى الحدث . فالرواية وأبطالها ، هي مجموعة انفعالات وأحلام ورؤى تنغرس جميعها على صفحة الوعي لتشكل هذه المخلوقات . واذا كان العزاوي في روايته الثانية « القلعة الخامسة » قد عاد الى شكل قريب من الشكل الحدثي المليء بالتداعيات والاحلام . فان جمعة اللامي حاول في قصته القصيرة « وثائق للاحشث » — الطريق حزيران — تموز ١٩٧٣ — أن يرسم قصته رسما ، مستعينا بالكولاج والشكل اللغوي عند ابولينير . « هناك اساليب فقط لان كل الاشياء هي كالدائرة . فانه من الغباء البحث عن يقين نسبي يمكن الاطمئنان اليه كثيرا . ولربما تكون الاعوام القادمة ، هي الاعوام التي يكون فيها الشكل قابضا على المضمون بشكل أكيد . ان الكرسي ليس هو الشكل أو الحيز بقدر ما هو الوظيفة كذلك . وهذه أشكالي ، هي تسطيح لكل الاشياء والعلاقات وتقديمها محنطة كأنها تطل علينا من زمن بعيد . اني أكتب هكذا لان اللغة الحالية خائنة ومزورة وفقدت قدرتها على التعبير . من المستحيل نقل « كلمات الزمن » الا من خلال اشكال تقريبية . ترى هل قادر على توجيه ما أريد من خلال هذه الاشكال » .

واذا كانت محاولات الشعر دخول لعبة الاشكال الابولينيرية ، لا تزال في بدايتها ، وتطرح العديد من علامات الاستفهام حول قدرة الشكل على اعادة صياغة الكلمة حيث يأتي المعنى بالغ التوتر وغير قادر على الانسكاب في صور شعرية . فان اللوحات المتتالية التي يريد بها جمعة اللامي نقل قضيته ، عبر محاكمته السريعة للغة ولحدود امكانيتها ، تجمد حركة الاستدارة في القصة . فالذي يبدو من خلال اللوحات الاربع التي يعرضها اللامي هو أربعة منعطفات ، كان بامكانها ان تتشكل تشكلا محوريا لتعطي ايصالا مباشرا . لكن الذي نراه هنا ، انما هو تجميد للحظات شعورية متتالية قبل قدرتها على النضوج والتشكل حدثيا . بل تبقى وكأنها صرخة تستعمل ايقاعات جديدة .

ان البحث عن الاشكال الجديدة ، هو بحث ضروري . لكن العلاقة بين الشكل والمضمون — اذا صح ان هناك امكانية للتمييز الفعلي بينهما — تبقى هي السؤال . فاحتراق اللغة في الشكل الجديد يفترض احتراقا وترميدا للمعاني القديمة . للرؤيا الماضية . وهنا تقع ازمة القصة العربية التي لا تزال تراوح في النسيج الحدثي ، واذا تجاوزته ، فالى التداعي دون قدرة على اختراق جدار التواصل مع قوى التغيير الجذرية .

الياس خوري